إبراهيتي الهواري- الجزائر

بينما كنت جالسا أتسلى بقلمي عله يطاوعني في كتابة شيء يفيدني ويفيد غيري إذ بخيالي يشير علي بحضور جلسة طارئة بمحكمة المحاسبة، فرحبت بالفكرة وقررت أن أكون مبعوثا أمينا أنقل مجريات هذا الحديث بكل صدق وأمانة.

لحظات قصيرة وإذا بي ألج قاعة المحاكمة التي كتب على بابها: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ». وشاء الله أن يتزامن وصولي وانطلاق المحاكمة، وكم كانت دهشتي عظيمة عندما صاح القاضي مناديا على المتهمين: «ليتقدم الإنسان والنفس».

وتقدم الإنسان بخطى متثاقلة متعثرة، وتبعته النفس كاسفة البال حزينة الحال، حينها لم أصدق عيني من فرط دهشتي، ذلك أنني أعرف جيدا قصتهما، فياترى ما الذي أوصلهما إلى هذا المكان؟ وراودتني أسئلة كثيرة زادت من حيرتي وقلقي، ورحت أتابع تفاصيل الأحداث بشغف كبير.

القاضي: إنكما متهمان بالتقصير في أداء الواجبات والتآمر على أحكام الله وفرائضه، فما قولكما؟

الإنسان: (متلعثما) « سيدي القاضي ! أنا بريء مما نسب إلي، وكل ما قيل في كذب وبهتان ».

القاضي: وأنت أيتها النفس؟

النفس: «وأنا كذلك بريئة مما اتهمت به، والبينة على من ادعى».

(يبتسم القاضي ثم يأمر المدعي بالحضور أمامه ليدلي بشهادته أمام الملأ.. ويقوم الضمير من مكانه وما كاد المتهمان يبصرانه حتى شعرا بالخيبة والهوان).

القاضي: تكلم أيها الضمير !

الضمير: سيدي القاضي، إنني لم أتقدم بشكواي إلا بعدما استفحل الأمر، وثبت لي أن السكوت عن الحق شيطنة خرساء، وإنني لأتعجب لهذين الشخصين كيف ينفيان ما نسب إليهما، وهما يعلمان علم اليقين بشهادتي وشهادة غيري بما اقترفاه من مخالفات، والدليل أمامكم سيدي القاضي بكل تفاصيله ضمن الشكوى المقدمة .

القاضي: وهل هناك شهود غيرك؟

الضمير: نعم، وهم حاضرون معي.

القاضي: ليتقدم الشهود، وليدل كل منهم بما شهد.

العين: سيدي القاضي، إن الشخص الماثل أمامكم لم يتق الله في بصره، فاستحل ما حرم الله النظر إليه، بل استخف بقوله تعالى: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ...﴿٣٠﴾ (النور)، وهو يعلم جيدا أن النظرة سهم مسموم من سهام إبليس.

الأذن: وإنه -سيدي القاضي- لم يتوان لحظة من حياته عن سماع الكلام الفاحش، وكلما ذكر بآيات الله أعرض ونأى، ولم يزده ذلك إلا نفورا.

اللسان: إضافة إلى ما قاله الشاهدان، فإن المتهم لم ينته عن الغيبة والنميمة، فكم من جلسة عقدها لينهش لحوم الناس ويتكلم في أعراضهم من دون الاكتراث لقوله تعالى: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ...﴿١٢﴾ (الحجرات).

القلب: ولطالما -سيدي- أساء الظن في غيره، وأضمر لهم الحقد والبغضاء، ملصقا التهم بالأبرياء من بني جنسه.

القاضي: شكرا لكم، تفضلوا بالجلوس، هل عندك ما تضيفه أيها الضمير؟

الضمير: زيادة على ذلك -سيدي القاضي- أن المتهم لم يؤد أمانة الله التي أوصاه بها في محكم التنزيل والتي بفضلها نال منصب الخلافة في الأرض.

القاضي: (مقاطعا للضمير): ماذا قلت؟ لم يؤد الأمانة، إن هذا الأمر أشد خطرا مما ذكره الشهود.

التفت القاضي إلى الإنسان وعلامات الغضب والقلق بادية على وجهه، ثم قال: أصحيح ما سمعت"؟

الإنسان: (مرتبكا): نعم سيدي...

القاضي: وما السبب في ذلك؟

الإنسان: إنها النفس الأمارة بالسوء.

القاضي: النفس؟! وكيف ذلك؟

الإنسان: لقد تآمرت هي والشيطان علي فأغرياني باتباع الشهوات مقابل التنازل عن أداء الأمانة، فكان لهما ما أرادا، ولولاهما ما وقعت فيهما وقعت فيه.

القاضي: عجيب أمرك أيها الإنسان، كيف تستجيب لمطلب الأعداء وأنت لك مستشار مُحنّك أكرمك الله به، فلماذا لم تعرض عليه الأمر قبل الإقدام عليه؟.

وأمام هذه الكلمات لم يجد الإنسان بدا من الاعتراف بجرائمه المرتكبة، حينئذ صمت القاضي مفكرا ثم أصدر القرارات الآتية:

بناء على الشكوى المقدمة من الضمير، وبناء على ما جاء في تصريحات الشهود، حكمت المحكمة على الإنسان بما يأتي:

- الرجوع إلى الله والإنابة إليه.
- المحافظة على الصلوات.
- الإكثار من الذكر وقراءة القرآن.
- استشارة العقل في جميع الأحوال.
- أن يسد على النفس جميع منافذ الغواية.
- أن يذكرها بالله كلما حاولت ارتكاب معصية.
- الحرص على أداء الأمانة التي حملها الله إياها.

وفي حالة تمرده على تنفيذ هذه القرارات بصفته المتهم الرئيس في القضية فإن سجن جهنم هو المأوى، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

رفعت الجلسة ■